(٣)

" للكافرين عذابٌ في نار جهنّم الّتي تطلب المزيد، وللمتّقين ما يشاؤون من نعيم في الجنّة الّتي لهم فيها مزيد "

الآيات (١٦ - ٣٥)

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾

ونعلم ما توسوس به نفسه : ونعلم ما تحدّث به نفسه، فلا يخفى علينا سرائره وضمائر قلبه[1] والوسوسة الخطرة. وأصله من الوَسواس، وهو صوت الحَلْي والهمس الخفي[2].

ونحن أقرب إليه من حبل الوريد : الحبل ما فُتِلَ من ليفٍ ونحوه ليرْبطَ أو يُقَادَ به[3]

---

(1) تفسير الطّبري ٢٦ / ٩٩

(2) مفردات الرّاغب الأصفهاني : " وسوس" ٢ / ٦٧٧

(3) المعجم الوسيط : " حبل "

وشبّه به من حيث الهيئة حبل الوريد، وحبل العاتق[1] والوريد مفرد الوريدين، هما عرقان تحت الوَدَجين : عرقان غليظان يمين ثَغْرة النّحر ويسارها[2]. والوريد كلّ عرقٍ يحمل الدّم الأزرق من الجسد إلى القلب[3]

إذ يتلقّي المتلقّيان : هما الملكان اللّذان يكتبان عمل الإنسان[4] قال مجاهد : ملك عن يمينه وآخر عن يساره . فأمّا الّذي عن يمينه فيكتب الخير. وأمّا الّذي عن شماله فيكتب الشّرّ[5].

قعيد : مترصّد[6] وقاعد[7] أي مَلَكٌ يترصّده ، ويكتب له وعليه . ويقال ذلك للواحد والجمع[8].

عتيد : حاضر[9].

إنّ الله سبحانه وتعالى الّذي يعلم ما خلق، والّذي يبيّن أنّ كفّار مكّة في شكٍّ من خلقٍ جديدٍ يوم القيامة يبيّن كذلك أنّه عزّ وجلّ خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه وما تحدّث به تلك النّفس. وحينما لا يخفى على الله تعالى وسوسة النّفس وسرّ الصّدر، لايخفى عليه ما فوق ذلك من قولٍ أو فعلٍ بطريق الأحرى. وإنّ الله تعالى الذّي

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهاني : " حبل " ١ / ١٣٩

(٢) المعجم الوسيط : "ورد "

(٣) المعجم الوسيط : " ورد "

(٤) تفسير الطّبري ٢٦ / ٩٩ وتفسير ابن كثير ٧ /٣٧٦ و الجلالين

(٥) تفسير الطّبري ٢٦ / ١٠٠

(٦) تفسير ابن كثير ٧ / ٣٧٦

(٧) الجلالين

(٨) مفردات الرّاغب الأصفهاني : " قعد " ٢ / ٥٢٩

(٩) الجلالين ومفردات الرّاغب الأصفهاني : " عتد " ٢ / ٤١٧

قد أحاط بكلّ شيءٍ علماً هو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد، ومن العرقين في عنقه اللّذين يحملان الدّم إلى القلب.

إنّ الله تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد، حين يتلقّى الملكان عن يمين الإنسان ويساره القاعدان الرّقيبان الحاضران، ويكتبان أيّ قولٍ يلفظ به الإنسان، ومن باب الأحرى أن يكتبا كلّ ما يفعل ذلك الإنسان.

وإذا كان قد جاء في سورة ق الإشارة إلى الملكين الكاتبين، فقد جاء في سورة الرّعد الإشارة إلى الملكين الحافظين. قال عز من قائل[1]: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ ١١﴾. قوله : ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ ، أي للعبد ملائكة يتعاقبون عليه، حرسٌ باللّيل وحرسٌ بالنّهار، يحفظونه من الأسواء والحادثات، كما يتعاقب ملائكةٌ آخرون لحفظ الأعمال من خيرٍ أو شرّ، ملائكةٌ باللّيل وملائكةٌ بالنّهار. فاثنان عن اليمين والشّمال يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشّمال يكتب السّيئات وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه. واحدٌ من ورائه وآخر من قدّامه. فهو بين أربعة أملاكٍ بالنّهار، وأربعةٌ آخرين باللّيل بدلاً، حافظان وكاتبان. كما جاء في الصحّيح : يتعاقبون فيكم ملائكةٌ باللّيل وملائكةٌ بالنّهار، ويجتمعون في صلاة الصبّح وصلاة العصر. فصعد إليه الّذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم : كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : أتيناهم وهم يصلّون ، وتركنا هم وهم يصلّون "[2].

---

[1] سورة الرّعد ١١

[2] تفسير ابن كثير ٤ / ٣٥٩

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾

وجاءت سكرة الموت : وهي شدّته وغلبته على فهم الإنسان كالسّكرة من النّوم أو الشّراب[١].

بالحقّ : من أمر الآخرة فتبيّنه الإنسان حتّى تثبّته وعرفه[٢]، وكشفت عن اليقين الّذي كان يمترى فيه[٣].

ذلك ما كنت منه تحيد : هو الشّيء الّذي كنت تهرب منه وعنه تروغ[٤] وتفرّ[٥].

ونفخ في الصّور : للبعث[٦].

ذلك يوم الوعيد : الّذي وعده الله الكفّار أن يعذّبهم فيه[٧].

معها سائقٌ وشهيد : معها سائقٌ يسوقها إلى الله ، وشهيدٌ يشهد عليها بما عملت في الدّنيا من خيرٍ أو شرّ[٨]. وقال ابن كثير[٩] : " أي ملكٌ يسوقه إلى المحشر، وملكٌ يشهد عليه بأعماله. هذا هو الظّاهر من الآية الكريمة، وهو اختيار ابن جرير".

---

(١) تفسير الطبّري ٢٦ / ١٠٠

(٢) تفسير الطّبري ٢٦ / ١٠٠

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٧ / ٣٧٧

(٤) تفسير الطّبري ٢٦ / ١٠١

(٥) تفسير ابن كثير ٧ / ٣٧٧

(٦) الجلالين

(٧) تفسير الطّبري ٢٦ / ١٠١

(٨) تفسير الطبّري ٢٦ / ١٠١

(٩) تفسير ابن كثير ٧ / ٣٧٩

فكشفنا غطاءك : فجلّينا ذلك لك، وأظهرناه لعينيك حتّى رأيته وعاينته فزالت الغفلة عنك[1].

حديد : نافذ[2] حادّ تدرك به ما أنكرته في الدّنيا[3].

وجاءت سكرة الموت وشدّته بالحقّ من أمر الآخرة. ذلك الموت الّذي كنت أيّها الإنسان تحرص على أن تتحاشاه وتبتعد عنه وتفرّ منه. ونفخ إسرافيل عليه السّلام في البوق النّفخة الثّانية بإذن الله تعالى، وهي نفخة البعث من الموت والحساب والجزاء. ذلك يوم الوعيد للكفّار بالعقاب والعذاب. وجاءت كلّ نفس معها ملكان اثنان. أحدهما يسوقها إلى الله تعالى، وآخرهما يشهد عليها بما عملت. لقد كنت أيّها الإنسان في غفلةٍ من هذا الموقف العصيب واليوم المجموع له النّاس المشهود، فكشفنا عنك الغشاوة التّي كانت على عينيك، فبصرك اليوم حديد ، ونظرك ثاقب، وترى الأشياء على حقيقتها، ولكن بعد فوات الأوان، لأنك لم تعمل في دنياك لآخرتك.

﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ﴾

وقال قرينه : وقال الملك الموكل بعمل ابن آدم والّذي يشهد عليه يوم القيامة بما عمل[4]

هذا ما لديّ عتيد : هذا ابن آدم الّذي وكّلتني به حاضر[5].

---

(1) تفسير الطّبري ٢٦ / ١٠٠

(2) انظر تفسير الطّبري ٢٦ / ١٠٣

(3) الجلالين

(4) انظر – مثلاً – تفسير ابن كثير ٧ / ٣٨٠ وتفسير الطّبري ٢٦ / ١٠١ و الجلالين

(5) انظر – مثلاً – تفسير ابن كثير ٧ / ٣٨٠ وتفسير الطّبري ٢٦ / ١٠١ و الجلالين

ألقيا في جهنّم: الظّاهر أنّها مخاطبةٌ مع السّائق والشّهيد، فالسّائق أحضره إلى عرصة الحساب، فلمّا أدّى الشّهيد عليه أمرهما الله تعالى بإلقائه في نار جهنّم وبئس المصير[1].

كفّار : كثير الكفر والتّكذيب بالحقّ[2].

عتيد : معاند للحقّ[3].

معتد : على النّاس بلسانه بالبذاء والفحش في المنطق، وبيده بالسّطوة والبطش ظلما[4].

مريب : شاكّ في وحدانيّة الله وقدرته على ما يشاء[5] وقال قرينه، وهو الملك الموكل بعمله والّذي يشهد عليه يوم القيامة بما عمل، هذا يا ربّي ابن آدم الّذي وكّلتني به لديّ الآن حاضر. فيقال للملكين السّائق والشّهيد ألقيا في جهنم كلّ إنسانٍ شديد الكفر، معاندٍ للحقّ، كثير المنع للخير أن يصل منه للآخرين، أو أن يصل من الآخرين للآخرين، معتدٍ على النّاس ببذاءة اللّسان، وبطش الجوارح، شاكّ في وحدانيّة الله تعالى.

إنّه الّذي جعل مع الله تعالى إلهاً آخر، فارتكب الذّنب الّذي لا يغفره الله تعالى وهو الشّرك، فألقياه أيّها الملكان في العذاب الشّديد والهلاك الأكيد.

﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾

قال قرينه : هو شيطانه الّذي كان موكّلاً به في الدّنيا[6].

---

(1) تفسير ابن كثير ٧/ ٣٨٠

(2) تفسير ابن كثير ٧ / ٣٨٠

(3) تفسير ابن كثير ٧ / ٣٨٠

(4) تفسير الطّبري ٢٦ / ١٠٤

(5) تفسير الطّبري ٢٦ / ١٠٤

(6) تفسير الطّبري ٢٦ / ١٠٤

ربّنا ما أطغيته : ما أنا جعلته طاغياً متعدّياً إلى ما ليس له، وإنّما يعنى بذلك الكفر بالله[1].

ما يبدّل القول لديّ : هو قوله[2] : ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾.[3]

قال شيطانه الّذي كان موكّلاً به في الدّنيا وقيّضة الله تعالى له وسلّطه عليه : يا ربّنا إني ما حملته على الطّغيان، وما أضللته، ولكن كان هو أساساً في ضلالٍ بعيد، وانصرافٍ عن الحقّ أكيد. قال الحقّ جلّ وعلا : لاتختصموا اليوم لديّ وقد قدّمت إليكم في الدّنيا بالوعيد : ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ ما يبدّل القول لديّ اليوم، وما أنا بظلاّم للعبيد، بحذف حسنةٍ أو إضافة سيئة. إنّ يوم القيامة هو يوم الحساب الدّقيق والجزاء العادل.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾

في يوم القيامة يسأل الحقّ جلّ وعلا نار جهنّم : هل امتلأت ؟ ويكون الجواب دائماً : ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ إنّها تطلب المزيد دائماً. عن أنسٍ رضي الله عن النبيّ ﷺ قال: يُلْقَى في النّار وتقول هل من مزيد ، حتّى يضع قدمه : قط قط[4].

---

[1] تفسير الطّبري ٢٦ / ١٠٤

[2] سورة السّجدة ١٣

[3] تفسير الطبري ٢٦ / ١٠٥

[4] فتح الباري ٨ / ٥٩٤ حديث رقم ٤٨٤٨ وانظر حديث رقم ٤٨٤٩ وحديث رقم ٤٨٥ .
قط قط أي حسبي حسبي . فتح الباري ٨ / ٥٩٥

﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾

وأزلفت الجنّة : وأدنيت الجنّة وقرّبت[١].

غير بعيد : مكاناً غير بعيد منهم فيرونها[٢].

حفيظ : حفيظ على فرائض الله وما ائتمنه عليه[٣].

وجاء بقلبٍ منيب : وجاء الله بقلبٍ تائب من ذنوبه، راجع ممّا يكرهه الله إلى ما يرضيه[٤].

ادخلوها بسلام : ادخلوا هذه الجنّة بأمان من الهمّ والغضب والعذاب، وما كنتم تلقونه في الدّنيا من المكاره[٥].

ولدنيا مزيد : قيل إنّ ذلك المزيد النّظر إلى الله جلّ ثناؤه[٦].

وأدنيت الجنّة للمتّقين مكاناً غير بعيدٍ منهم بحيث يرونها. ويقال لهم : هذا ما توعدون من ثوابٍ لكلّ أوّاب إلى الله تعالى رجّاع لطاعته، حفيظٍ لحقّ الله تعالى عليه. إنّه من خشي الرّحمن بالغيب، وجمع بين حبّ الله تعالى والخوف منه، ولم ير الله تعالى، بين الرّجاء في ثواب الله تعالى والخوف من عقابه، ومن جاء ربّه عزّ وجلّ بقلبٍ راجعٍ إليه، مقبلٍ عليه، محبٍّ لعمل الحسنات، مبغضٍ لعمل السّيّئات. ويقال لهؤلاء المتّقين :

---

(١) تفسير الطّبري ٢٦ / ١٠٧

(٢) الجلالين

(٣) تفسير الطبّري ٢٦ / ١٠٧

(٤) تفسير الطّبري ٢٦ / ١٠٨

(٥) تفسير الطّبري ٢٦ / ١٠٨

(٦) تفسير الطّبري ٢٦ / ١٠٨

ادخلوا الجنّة بسلامٍ من الأذى والآفات وسائر المنغّصات. ذلك يوم الخلود في جنّات النّعيم. لهم كلُّ ما تشتّهيه أنفسهم في جنّات النّعيم، ولدى الله تعالى المزيد من الفضل عليهم، وهو النّظر إلى الله جلّ ثناؤه. عن جرير بن عبد الله قال : كنّا جلوساً ليلةً مع النّبيّ ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة، فقال : إنّكم سترون ربّكم كما ترون هذا لا تضامون[1] في رؤيته. فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاةٍ قبل طلوع الشّمس وقبل غروبها فافعلوا ثمّ قرأ[2] : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾.[3]

---

[1] لا يُنتَقَّصُ حقّكم في رؤيته بل تنالونه كاملا .

[2] سورة ق ٣٩

[3] فتح الباري ٨ / ٥٩٧ حديث رقم ٤٨٥١

(٤)

" على الكافرين الاتعاظ بهلاك الكافرين السّابقين، والاستدلال بخلق السّماوات والأرض على البعث، وعلى المؤمنين الاستعداد ليوم القيامة والاتّعاظ بالقرآن الكريم"

الآيات (٣٦ - ٤٥)

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ .

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ .

فنقّبوا في البلاد: فساروا فيها[1]، فطافوا وتوغّلوا إلى الأقاصي منها[2]. وأصله السّير في النّقوب الطّرق[3] والنَّقْبُ: الخَرْق في الجلد أو نحوهما[4] والثّقب في أيّ شيءٍ كان[5] يقول : خرقوا البلاد فساروا فيها طلباً للمهرب، فهل كان لهم محيصٌ من الموت[6]؟

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهاني : " نقب " ٢ / ٦٥١

(٢) تفسير الطّبري ٢٦ / ١١٠

(٣) معجم مقاييس اللّغة : " نقب " ٥ / ٤٦٦

(٤) المعجم الوسيط : " نقب "

(٥) لسان العرب : " نقب "

(٦) لسان العرب : " نقب "

هل من محيص : فهل كان لهم بتنقيبهم في البلاد من معدلٍ عن الموت ومنجىً من الهلاك إذا جاءهم أمرنا[١]. قال ابن زيد في قوله: ﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ هل من منجى[٢]

إنّ في ذلك لذكرى : لعظة[٣] .

لمن كان له قلب : لمن كان له عقل[٤]

أو ألقي السّمع : أو أصغي لإخبارنا إيّاه عن هذه القرون الّتي أهلكناها بسمعه، فيسمع الخبر عنهم كيف فعلنا بهم حين كفروا بربّهم وعصوا رسله[٥] تقول العرب : ألقي فلانٌ سمعه، أي استمع بأذنيه[٦]. قال مجاهد : وهولا يحدّث نفسه بغيره[٧].

وهو شهيد : وهو متفّهم لما يخبر به عنهم، شاهدٌ له بقلبه، غير غافلٍ عنه ولا ساه[٨].

وكم أهلكنا قبل كفّار مكّة من أُمم كافرة هم أشدّ من كفّار مكّة بطشاً وقوّة، وأكثر عدداً وعدّة ، فطوّفوا في البلاد، ودوّخوا العباد، وأهلكوا الحرث والنّسل. إنّا حينما أردنا إهلاكهم هل كان لهم من ملجأ. وحينما أخذناهم بالعذاب هل كان لهم من منجى. لقد مضوا جميعاً كأمس الدّابر.

---

(١) تفسير الطّبري ٢٦ / ١١٠

(٢) تفسير الطّبري ٢٦ / ١١٠

(٣) الجلالين

(٤) تفسير الطّبري ٢٦ / ١١٠ و تفسير ابن كثير ٧ / ٣٨٦ و الجلالين ومعاني القرآن للفرّاء ٣ / ٨٠

(٥) تفسير الطّبري ٢٦ / ١١١

(٦) تفسير الطّبري ٢٦ / ١١١

(٧) تفسير ابن كثير ٧ / ٣٨٦

(٨) تفسير الطّبري ٢٦ / ١١١

إنّ في ذلك الإهلاك للكافرين السّابقين لعظةً لمن كان له عقل يفكّر به، ولبٌّ يتدبّر به، أو أقبل إلى سماع الموعظة بكلتا أذنيه، وكان حاضر القلب، يقظ الفؤاد، يعي ما تسمعه أذنه.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾

وما مسّنا من لغوب : من إعياء[1] ولا نصب ولا تعب[2]

سبب النّزول :

عن قتادة، أكذب الله اليهود والنّصارى وأهل الفَرْي على الله وذلك أنّهم قالوا إنّ الله خلق السّماوات والأرض في ستّة أيّام ثمّ استراح يوم السّابع، وذلك عندهم يوم السّبت، وهم يسمّونه يوم الرّاحة[3].

فاصبر على ما يقولون : فاصبر يا محمّد على ما يقول هؤلاء اليهود وما يفترون على الله ويكذبون عليه، فإنّ الله لهم بالمرصاد[4].

وسبّح بحمد ربّك قبل طلوع الشّمس وقبل الغروب : وصلّ بحمد ربّك صلاة الصّبح قبل طلوع الشمس، وصلاة العصر قبل الغروب[5].

---

(1) تفسير الطّبري ٢٦ / ١١١

(2) تفسير ابن كثير ٧ / ٣٨٦

(3) تفسير الطّبري ٢٦ / ١١٢

(4) تفسير الطّبري ٢٦ / ١١٢

(5) تفسير الطّبري ٢٦ / ١١٢ وانظر فتح الباري ٨ / ٥٩٧ حديث رقم ٤٨٥١

ومن اللّيل فسبحه : عن مجاهد : ومن اللّيل كلّه فسبّحه[1]

ورأي بعضهم أنّه عني بالتّسبيح صلاة العَتَمة[2] والعَتَمّة ظلام أوّل اللّيل بعد زوال الشّفق[3] وقد رجّح الإمام الطّبري رأي مجاهد. يقول رحمه الله تعالى رحمةً واسعة[4] : "والقول الّذي قاله مجاهد في ذلك أقرب إلى الصّواب، وذلك أنّ الله جلّ ثناؤه قال : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ ﴾ فلم يحدّ وقتاً من اللّيل دون وقت. وإذا كان ذلك كذلك كان على جميع ساعات اللّيل. وإذا كان الأمر في ذلك على ما وصفنا فهو بأن يكون أمراً بصلاة المغرب والعشاء أشبه منه بأن يكون أمراً بصلاة العَتَمة، لأنهما يصلّيان ليلا " .

وأدبار السّجود : يقول : سبح بحمد ربّك أدبار السّجود من صلاتك[5]، واختلف أهل التّأويل في معنى التّسبيح الّذي أمر الله نبيّه أن يسبحّه أدبار السّجود، فقال بعضهم: عني به الصّلاة. قالوا : وهما الرّكعتان اللّتان يصلّيان بعد صلاة المغرب[6] عن ابن عبّاس قال : بتّ ليلةً عند رسول الله ﷺ فصلّى ركعتين خفيفتين، اللّتين قبل الفجر. ثمّ خرج إلى الصّلاة فقال : يا ابن عبّاس، ركعتين قبل صلاة الفجر إدبار النّجوم، وركعتين بعد المغرب إدبار السّجود[7] وقال آخرون : عني بقوله: ﴿ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴾ التّسبيح في أدبار الصّلوات المكتوبات، دون الصّلاة بعدها[8] وقال آخرون هي النّوافل في أدبار

---

(١) تفسير الطّبري ٢٦ / ١١٢

(٢) تفسير الطّبري ٢٦ / ١١٢

(٣) المعجم الوسيط : " عتم "

(٤) تفسير الطّبري ٢٦ / ١١٢

(٥) تفسير الطّبري ٢٦ / ١١٢

(٦) تفسير الطّبري ٢٦ / ١١٢

(٧) تفسير ابن كثير ٧ / ٣٨٧

(٨) تفسير الطّبري ٢٦ / ١١٣

المكتوبات[1] : " وأولى الأقوال في ذلك بالصّحة قول من قال هما الرّكعتان بعد المغرب لإجماع الحجّة من أهل التّأويل على ذلك"[2].

ولقد خلقنا السّماوات والأرض وما بينهما في ستّة أيّام، والله تعالى أعلم بحقيقتها، وما مسّنا من تعب ولا نالنا من نصب، خلافاً لزعم الكذّابين أنّا استرحنا يوم السّبت من إعياء. فاصبر يا محّمد على ما يقول هؤلاء الكذّابون حتّى يأتيك أمرنا بحقّهم، وحكمنا فيهم. وسبّح بحمد ربّك جلّ وعلا، ونزّهه بقول : " سبحان الله " متلبّساً بقولك : " والحمد لله " قبل طلوع الشمس في صلاة الصّبح، وقبل غروب الشّمس في صلاة العصر. ومن اللّيل فسبحه ونزّهه عن كلّ ما لا يليق به جلّ وعلا ممّا ألحقه به الظّالمون وقل : "سبحان الله " في صلاتي المغرب و العشاء، وفي الرّكعتين بعد صلاة المغرب.

﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ ﴾

واستمع أيّها الإنسان يوم ينادي المنادي وينفخ إسرافيلُ عليه السّلام بإذن الله تعالى النّفخة الثّانية من مكانٍ قريبٍ بحيث يسمعه بإرادة الله تعالى الخلائق أجمعون. إنّهم يسمعون الصّيحة بالحقّ. ذلك اليوم هو يوم الخروج من القبور للحساب فالجزاء، الثّواب أو العقاب.

---

[1] تفسير الطّبري ٢٦ / ١١٤

[2] تفسير الطّبري ٢٦ / ١١٤

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾

ذلك حشرٌ علينا يسير : جمعهم ذلك جمعٌ في موقف الحساب علينا يسيرٌ سهل[1].

وما أنت عليهم بجبّار : تجبرهم على الإيمان[2].

فذكّر بالقرآن من يخاف وعيد : من يخاف الوعيد الّذي أوعدته من عصاني وخالف أمري[3].

إنّا نحيي ابتداءً، ونميت الأحياء، وإلينا المصير يوم القيامة بإحياء الأموات وحسابهم ومجازاتهم ثواباً أو عقاباً. إلينا المصير يوم القيامة، يوم تتشقّق الأرض عن الأموات، وقد بعثهم الله تعالى أحياء، وخرجوا من قبورهم مسرعين مستجيبين للنداء. إنّ جمع الخلائق في ذلك اليوم العظيم أمرٌ سهلٌ على الله تعالى ويسير. نحن أعلم بما يقول كفّار مكّة عن البعث وعنك يا محّمد وعن القرآن الكريم. وأنت يا محّمد لست عليهم بجبّار، وليس من عملك أن ترغمهم على الإيمان، وليس في استطاعتك أن تجبرهم على ذلك، فذّكر يا محّمد بالقرآن الكريم من يخاف وعيدي من المؤمنين ويخشى عذابي ، ويعمل لما بعد الموت.

---

(١) تفسير الطّبري ٢٦ / ١١٤

(٢) الجلالين

(٣) تفسير الطّبري ٢٦ / ١١٥

التعقيب:

نود أن نشير في هيئة نقاط إلى بعض الأمور المتعلقة بالسورة الكريمة:

١- سورة ق من المكي من القرآن الكريم الذي نزل على المصطفى ﷺ قبل الهجرة[١]، ويقال إنها تشتمل على آية كريمة واحدة مدنية هي الثامنة والثلاثون[٢] قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾.

٢- عدد آيات السورة الكريمة خمس وأربعون آية ، وعدد كلماتها ثلاثمائة وخمس وسبعون كلمة، وعدد حروفها ألف وأربعمائة وسبعة وسبعون حرفاً[٣].

٣- سميت السورة الكريمة سورة ق لمجيء هذا الحرف في الآية الكريمة الأولى، وهو أحد الحروف المقطعة في أوائل السور. قال تعالى: ﴿قٓ ۚ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾﴾.

٤- محور السورة الكريمة البعث بعد الموت.

٥- هذه السورة الكريمة هي أول الحزب المفصل على الصحيح. وقيل: من الحجرات[٤] والمفصل: السُّبع الأخير من القرآن الكريم، لكثرة الفصول بين سوره[٥] والدّليل على أن هذه السورة هي أول المفصل ما رواه أبو داود في سننه، باب تحزيب

---

(١) انظر - مثلاً - الإتقان ١/ ٤٢ وتفسير ابن كثير ٧ / ٣٧٠ وتفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢٦ / ٩٨ والجلالين والمحرر الوجيز لابن عطية ١٥ / ١٥٨ والكشّاف ٣ / ١٥٨ والبحر المحيط ٨ / ١١٨ وتفسير القرطبي ٧ / ٦١٧١ .

(٢) الجلالين وتفسير القرطبي ٧ / ٦١٧١

(٣) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢٦ / ٩٨ .

(٤) تفسير ابن كثير ٧ / ٣٧٠

(٥) المعجم الوسيط : " فصل "

القرآن[1] قد جاء في الحديث الذي رواه أوس بن حذيفة ضمن وفد ثقيف الذين قدموا على النبي ﷺ أن النبي ﷺ كان يأتيهم كل ليله بعد العشاء يحدثهم، " فلما كانت ليلة أبطأ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه، فقلنا: لقد أبطأت عنا الليلة قال: إني طرأ عليّ حزبي[2] من القرآن فكرهت أن أجيءَ حتى أُتمه. قال أوس: سألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف يحزبون القرآن؟ قالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصّل وحده"[3] ويعلق ابن كثير قائلا[4]: "وإذا عُلِمَ هذا فإذا عددت ثمانيًا وأربعين سورة فالّتي بعدهن سورة ق"، ويلاحظ أن ابن كثير بدأ بسورة البقرة وترك سورة الفاتحة. فإذا عدت سورة الفاتحة أولى السور الثماني والأربعين كان الرأي الذي يبدأ المفصل بسورة الحجرات وجيهاً.

٦- روى الإمام أحمد أن عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثي: ما كان رسول الله ﷺ يقرأ فى العيد؟ قال: بقاف، واقتربت. رواه مسلم وأهل السنن الأربعة [5].

٧- روى الإمام أحمد وغيره عن أم هشام بنت حارثة قالت: لقد كان تنورنا[6] وتنور النبي ﷺ واحداً سنتين أو سنة وبعض سنة. وما أخذت : ﴿قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١﴾ إلا على لسان رسول الله ﷺ. كان يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر

---

(١) تفسير ابن كثير ٧ / ٣٧٠ وانظر سنن أبي داود ٢ / ٥٥ حديث رقم ١٣٩٣ .

(٢) هذه رواية تفسير ابن كثير ٧ / ٣٧٠ والنهاية في غريب الحديث والأثر ١ / ٣٧٦ ورواية أبي داود : " جُزئي"

(٣) سنن أبي داود ٢ / ٥٥

(٤) تفسير ابن كثير ٧ / ٣٧٠

(٥) تفسير ابن كثير ٧ / ٣٧١

(٦) التّنور : الموقد . وهي تشير بذلك إلى حفظها ومعرفتها بأحوال النّبي ﷺ وقربها من منزله . هامش ابن كثير

إذا خطب الناس[1] وقد علق ابن كثير على الأحاديث في الباب. يقول رحمه الله تعالى رحمة واسعة[2]: " والقصد أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بهذه السورة في المجامع الكبار، كالعيد و الجمع، لاشتمالها على ابتداء الخلق والبعث والنشور والمعاد والقيام والحساب والجنة والنار والثواب والعقاب والترغيب والترهيب".

٨- جاء في السورة الكريمة سبع فواصل هي حسب ورودها في السورة الكريمة على النحو التالي، د، ب، ظ،، ج، ط، ص، ر. وهى حسب كثرتها كالتالي. جاءت فاصله الدال في ٢٧ آية كريمة هي ١، ٣، ٩، ١٠، ١٢، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٤، ٣٥، ٣٧، ٤٠، ٤٥ وجاءت فاصلة الباء في سبع آيات كريمات هي ٢، ٨، ٢٥، ٣٣، ٣٨، ٣٩، ٤١ وجاءت فاصلة الجيم في خمس آيات كريمات هي ٥، ٦، ٧، ١١، ٤٢ وجاءت فاصلة الظاء في آيتين كريمتين هما ٤ و ٣٢ وجاءت فاصلة الراء في آيتين كريمتين هما ٤٣، ٤٤ وجاءت فاصلة الطاء في آية كريمة واحدة هي ١٣ وجاءت فاصلة الصاد في آية كريمة واحدة هي ٣٦.

المجموع ٢٧ + ٧ + ٥ + ٢ + ٢ + ١ + ١ = ٤٥ آية كريمة.

ويلاحظ أن كلاً من الآية الكريمة الأولى في السورة الكريمة والآية الكريمة الأخيرة قد انتهت بفاصلة الدال.

ومما سبق يتبين أن فاصلة الدال هي الغالبة في السورة الكريمة، وأن الفواصل الأخرى بمثابة الشذرات والقطع من الذهب التي تفصل بين لآلئ فاصلة الدال في

---

[1] تفسير ابن كثير ٧/ ٣٧١ وانظر تفسير القرطبي ٧/ ٦١٧١

[2] تفسير ابن كثير ٧/ ٣٧١

السورة الكريمة. ونحن في غنى عن القول إن المعاني هي التي تستدعى الألفاظ ومعها الفواصل. ومن هنا اختلفت الفواصل كثرة وقلة. ولا يكاد العجب ينتهي من تدفق المعاني، وتداعي الفواصل الحرة التي يقتضيها المعنى. والمعروف أن القرآن الكريم يجمع أحسن ما يكون الجمع بين خير ما في كل من النثر والشعر. وخير ما في النثر تدفق معانية وحرية فواصله. وخير ما في الشعر ظاهرة تلاؤم الأصوات وزنا وقافية. لقد جمع القرآن الكريم خير ما في الشعر من ظاهرة تلاؤم الأصوات فهناك التدفق الصوتي والفاصلة الحرة، ومن النثر فالمعاني هي التي تستدعى الألفاظ.

و دليلا على كون المعاني هي التي تستدعى الألفاظ، بما في ذلك الفاصلة؛ نكتفي بشاهد واحد جاءت فيه الفاصلة باء وذلك في الآية الكريمة الخامسة والعشرين في قول الحق جل وعلا: (مناع للخير معتد مريب) علما بأن هذه الفاصلة البائية سبقتها فاصلة دالية في إحدى عشرة آية كريمة، وتلتها فاصلة دالية فئ ست آيات كريمات. إنا لو كنا بصدد شعر أو نثر من قول بشر لكانت اللفظة المتبادر ورودها هي لفظة مريد مثلا الدالية والتي تؤدي المعنى على نحو من الأنحاء. وليس بخاف أن لفظة "مريب" التي جاءت في الآية الكريمة هي اللفظة التي لا يغني غناءها معنويًا أي لفظة أخرى.

وهكذا تكون المعاني في القرآن الكريم هي التي تستدعى الألفاظ دائما وليس العكس.

٩ - عرفنا أن عدد حروف السورة الكريمة ألف وأربعمائة وسبعة وسبعون حرفاً. وقد جاء حرف القاف الذي سميت السورة الكريمة باسمة خمساً وستين مرة في أربع وثلاثين آية كريمة. وبذلك يكون حرف القاف قد جاء في السورة الكريمة كثيراً.

١٠- السورة الكريمة في سبيل حمل الكافرين على الإيمان بالبعث والعمل ليوم القيامة لفتت الانتباه إلى خلق الله تعالى السماوات والأرض، والى إهلاك الله تعالى

الكافرين السابقين، وإلى ملابسات يوم القيامة من مجيء سكرة الموت حتى دخول أهل النار النار ودخول أهل الجنة الجنة، وحثت على عبادة الله تعالى وبخاصة الصلاة وعلى الاتعاظ بالقرآن الكريم. وسبق أن بينا تحت عنوان: " بين يدي التفسير" وحدة السورة الكريمة موضوعياً وعضوياً. إن موضوعها البعث بعد الموت. وإن كل المعاني الأخرى تخدم من الوجهة العضوية ذلك الموضوع الرئيس.

١١- إذا كان البعث بعد الموت المحور الذي تدور حوله سورة ق المكية الكريمة، فإن للسورة الكريمة طابعها الخاص بها من بين سائر سور القرآن الكريم من ناحية ظاهرة تلاؤم الأصوات، ومن ناحية الفاصلة الدالية الغالبة. إن لسورة ق المكية الكريمة شأناً كبيرًا في مجال ظاهرة تلاؤم الأصوات والفاصلة يصل إلى ما يشبه درجة الخصوصية.

وكأن صفة الخصوص هذه إضافة إلى محور السورة الكريمة المكية وهو البعث بعد الموت، و ما تعلق به سابقاً ولاحقاً، قد نبّه على خطورة شأن كل منهما، وعلى التلاحم بين المعنى والمبنى، كثرة قراءة المصطفى ﷺ على المنبر في الجمع والأعياد وسائر المناسبات المهمة، هذه السور المكية الكريمة في المدينة المنورة ، أي بعد هجرته ﷺ ، إلى المدينة المنورة. ونستطيع أن نفهم الشئ نفسه قبل الهجرة. والله تعالى أعلم.

١٢- جاء لفظ القرآن الكريم في سورة ق مرتين اثنتين. مرة في الآية الكريمة الأولى. قال تعالى: ﴿قٓ ۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١﴾ ومرة في الآية الكريمة الأخيرة. قال تعالى: ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ۝٤٥﴾ .

وهكذا يكون في سورة ق المكية الكريمة انتصارٌ للقرآن الكـــريم في أولهـــا ، وفي أثنائها، وفى آخرها.

سادساً: سورة الذّاريات حتى نهاية

الجزء السادس والعشرين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ
أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ
لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ
سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟
فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾
ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا
يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ
﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ
رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ
﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ
قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ
قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ
﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ
قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾

بين يدي التّفسير

(١)

"الوعد بالبعث والجزاء صادق، وعذاب المكذبين، وثواب المحسنين الّذين يستدلّون بآيات الله تعالى على وحدانيّته"

الآيات (١ - ٢٣)

أُقْسِمُ بالرّياح الّتي تذرو التراب ذرواً وتهيجه وتطيره، فالسحب التي تحمل وِقْر الماء وثقل المطر، فالسفن التي تجري في الماء بيسر وسهولة، فالملائكة التي تقسّم -بإذن الله تعالى - أمراً، وتنزل بأوامر الله تعالى الشرعيّة والكونية، إنما توعدون أيها الناس من بعثٍ بعد الموت لصادق، وإن الجزاء بعد الحساب لواقع. وإن العلاقة الوثيقة بين الرياح والسحب التي تحمل الماء الّذي تجري فيه السفن والملائكة الكرام وبين السماء رشح لتحول الحديث إلى السماء.

أقسم بالسماء ذات الحسن والجمال، والبهاء والكمال، والسعة والارتفاع، وذات الطرق بين النجوم والكواكب والمجرات، التي تشبه الطرق في الرمل والماء والزرع حينما يهب الهواء العليل، ويتحرك النسيم البليل، إنكم أيها المشركون لفي قول مختلف في حق القرآن الكريم، كاختلاف الطرق في أثناء النجوم والكواكب والمجرات، يُصرف عن هذا القرآن الكريم بإرادة الله تعالى مَنْ صُرِف استجابة للشيطان الرجيم، وهوى النفس الأمّارة بالسوء. ويستحق الذين يفترون على الله تعالى الكذب القتل والهلاك. إنهم الذين في غمرة الضلالة غارقون وسادرون وغافلون. إنهم على سبيل الاستهانة يسألون عن وقت قيام الساعة، التي لا يؤمنون بها ولا يعملون من أجلها. إنّ وقت قيام الساعة

يوم يُشوى الكافرون على نار جهنم ويحرقون. يوم يقال لهم ذوقوا عذاب الحريق الذي تستحقونه اليوم وكنتم تستعجلونه ، استهزاءً به واستخفافاً في الحياة الدنيا.

إن المتقين في حدائق ذات بهجة، وعيون ماء متدفقة، آخذين ما أعطاهم ربّهم عز وجل من خير عميم، وفضل عظيم. إنهم كانوا قبل ذلك في الدنيا محسنين في كل شيء وبخاصة في مجال العبادة. كانوا ينامون قليلاً من الليل، وبالأسحار حينما تبلغ نفوسهم القمة في الصفاء يستغفرون الله تعالى بين يدي صلاة الفجر. وفي أموالهم حق معلوم، للسائل والمحروم.

وهؤلاء المتقون يستدلون بآيات الله تعالى البينات ومعجزاته الباهرات على وحدانيته، إن في الأرض آياتٍ على ذلك لمن بلغ مرتبة اليقين، وكذلك في نفس كل إنسان وكيانه حينما يبصر بنور الله تعالى ذاته، ويتبين في جسمه الأصغر العالم الأكبر. وفي السماء رزقكم أيها الناس بنزول الماء الذي جعل الله تعالى منه كل شيء حيّ، وما توعدون من خير أو شرّ. فورب السماء والأرض إنّ البعث بعد الموت حقٌ لا شك فيه، كما لا تشكون الآن أنكم تنطقون.

وتجاه إصرار المشركين على إنكار البعث بعد الموت، رغم كلّ هذه الآيات البينات، والمعجزات الباهرات الّتي ذكرها السياق على جهة الترغيب؛ كان ثمة تحول إلى الترهيب.

(٢)

" ملائكة عذاب قوم لوط عليه السلام تُطمْئن إبراهيم عليه السلام وتبشّره بغلام عليم "

الآيات (٢٤ - ٣٠)

هل أتاك يا محمد حديث ضيف إبراهيم عليه السلام ، من الملائكة الكرام الذين أكرمهم إبراهيم عليه السلام وزوجه سارة شخصياً وقاما على خدمتهم؟. هل أتاك هذا الحديث حين دخل الملائكة الكرام على إبراهيم عليه السلام فقالوا سلاماً قال عليكم سلام قوم منكرون لا نعرفهم من ذي قبل. وهكذا رد إبراهيم عليه السلام التحية بأحسن منها ، كما قام بواجب الضيافة من ترحيب بالضيف وإكرامه. لقد مال إبراهيم عليه السلام سراً إلى أهله، وانتقى من خيار ماله عجلاً سميناً، وقام بشيه على النار وجاء به على عجل ووضعه أمام ضيفه، وأدناه منهم، ودعاهم إلى تناول الطعام. ولما كان الضيف ملائكة كراماً لا يأكلون ولا يشربون؛ فإن أيديهم لم تمتد إلى الطعام و لم تصل إليه. ولّما كان عدم مد الضيف يده إلى الطعام يعني أنه عدو وليس صديقاً، فقد أحسّ إبراهيم في نفسه خيفة أضمرها وأدركتها الملائكة. قالت الملائكة لإبراهيم عليه السلام : ﴿لَا تَخَفْ﴾ وكشفت له عن حقيقتها وعن مهمتها وهي إهلاك قوم لوطٍ عليه السلام الكافرين، الذين كانوا يأتون الذكران ويذرون ما خلق الله تعالى لهم من زوجات طاهرات. وقد بشر الملائكة الكرام إبراهيم عليه السلام بغلامٍ سيكون في المستقبل عالماً، وهو إسحاق عليه السلام. سمعت سارة بالبشارة الّتي كانت مفاجأة لها، فقد بلغت من الكبر عتيّاً، فأقبلت في صيحةٍ مدوّية، وصرخةٍ عظيمة ولطمت وجهها بباعث المفاجأة وقالت : أألد وأنا عجوز قد بلغت من

الكبر عتياً، عقيم لا ألد منذ أن بلغت مبلغ النّساء! قال الملائكة الكرام : هكـــذا قـــال ربك الذي رباك بنعمه وآلائه، إنّه الحكيم في قضائه وفي كل شيء ، العليم الـــذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، سبحانه، لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه.

التّـفسيـر

(١)

"الوعد بالبعث والجزاء صادق، وعذاب المكذبين، وثواب المحسنين الّذين يستدلون بآيات الله تعالى على وحدانيته"

الآيات (١ - ٢٣)

﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝٢ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝٣ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ۝٦ ﴾

والذّاريات ذروا : الواو واو القسم[١] يقال: ذَرت الرّيح التراب وغيره تذروه ذرواً إذا حملته فأثارته وأطارته[٢] عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب : ﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴾ بأنها الرّيح[٣].

فالحاملات وقراً : فالسحب[٤] الّتي تحمل وقرها وثقلها من الماء[٥]. ويقال إنّ هذا رأي علي – رضي الله تعالى عنه –[٦].

فالجاريات يسراً : هي السفن، ويقال إنّ هذا رأي علي – رضي الله تعالى عنه–[٧] ويقول ابن كثير[٨] : " فأما الجاريات يسراً فالمشهور عن الجمهور ... أنّها السفن تجري ميسّرة في الماء جرياً سهلاً. وقال بعضهم : هي النّجوم تجري يسراً في أفلاكها، ليكون ذلك ترقيّاً من الأدنى إلى الأعلى إلى ما هو أعلى منه. فالرّياح فوق السّحاب. والنّجوم فوق ذلك، والمقّسمات أمراً الملائكة فوق ذلك، تترل بأوامر الله الشّرعية والكونية".

---

(١) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٢ / ١٣١ .

(٢) انظر لسان العرب : " ذرا " وتفسير الطبري ٢٦ / ١١٥.

(٣) انظر تفسير الطبري ٢٦ / ١١٥ وتفسير ابن كثير ٧ / ٣٩٠.

(٤) الجلالين

(٥) تفسير الطبري ٢٦ / ١١٦ والجلالين ولسان العرب : " وقر ".

(٦) انظر تفسير الطبري ٢٦ / ١١٦

(٧) انظر تفسير الطبري ٢٦ / ١١٦

(٨) انظر تفسير ابن كثير ٧ / ٣٩١

فالمقسمات أمراً : الملائكة، ويقال إنّ هذا رأي علي ﷺ [1].

إنّما توعدون لصادق : إنّ الّذي توعدون أيّها النّاس من قيام الساعة، وبعث الموتى من قبورهم، لكائن حقٌّ يقين[2] .

وإنّ الدّين : الحساب[3]، والجزاء بعد الحساب[4]؛ لكائن لا محالةَ [5].

يقسم الحقّ جلّ وعلا بالرّيح التي تثير التراب وتحمله وتطير به، وبالسحب التي تحمل وقرها من الماء وثقلها من المطر، وبالسفن التي تجري فوق الماء بيُسْر، وتشق بصدرها موج البحر بسهولة، وبالملائكة التي تقسم بإذن ربها أمراً، وتترل بأوامر الله تعالى الشرعية والكونية، إنّ الذي توعدون أيها الناس من البعث بعد الموت، والحساب لصادق، وإنّ الجزاء من الثواب أو العقاب لواقع لا محالة.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾

والسماء ذات الحبك : الحبك جمع حبيكة كطريقة وطرق، أي صاحبة الطّرق في الخِلْقة كالطرق في الرّمل[6]، إذا مرّت به الرّيح الساكنة، وكالطرق في الماء القائم[7]، وفي الزرع[8] إذا ضربت الريح كلاّ منهما. وهذه الطرق المحسوسة في السماء تم

---

[1] تفسير الطبري ٢٦ / ١١٦ .

[2] تفسير الطبري ٢٦ / ١١٧ .

[3] انظر تفسير ابن كثير ٧ / ٣٩١

[4] الجلالين

[5] انظر تفسير ابن كثير ٧ / ٣٩١

[6] الجلالين وانظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٢ / ١٣٣.

[7] تفسير الطبري ٢٦ / ١١٧ .

[8] انظر تفسير ابن كثير ٧ / ٣٩١

تصوّرها بالنجوم والمجرة[1] فهي ذات الحبك، قال ابن عباس : ذات البهاء والجمال والحسن والاستواء[2].

إنكم لفي قول مختلف : إنكم يا أهل مكة[3] لفي قولٍ مختلف في هذا القرآن، فمن مصدق به ومكذّب[4] والزعم بأنه شعر وسحر وكهانة[5] وما إلى ذلك.

يؤفك عنه من أُفك: يُصْرَف عن الإيمان بهذا القرآن من صُرِف[6] عن الهداية في علم الله تعالى[7]، وعن الوجه الذي يحق أن يكون عليه، كمن صُرف عن الحق في الاعتقاد إلى الباطل، ومن الصّدق في المقال إلى الكذب، ومن الجميل في الفعل إلى القبيح[8].

والسماء ذات الحسن والجمال، والبهاء والكمال، والمتانة والارتفاع، والسعة والزينة، والطرق المتعددة بين النجوم والكواكب والمجرات، كالطرق في كثيب الرّمل، وعلى سطح الماء، وعلى الزّرع، إذا مرّ الهواء العليل، وهبّ النسيم البليل.

والسماء ذات الحُبك والطّرق المختلفة بين النجوم والكواكب وفي المجرات، إنكم يا كفار مكة لفي قول مختلف في حق القرآن الكريم، ومتعدد كاختلاف تلك الطرق وتعددها. إنكم أيها الكافرون لا تستقرون على قول، ولا تتفقون على رأي بشأن القرآن الكريم الموحى به إلى محمد بن عبد الله ﷺ . إن هذا القرآن الكريم يصرف عنه

---

(1) مفردات الرّاغب الأصفهاني : " حبك " ١ / ١٣٩ .

(2) تفسير ابن كثير ٧/ ٣٩١ وانظر تفسير الطبري ٢٦/ ١١٧ و ١١٨ .

(3) الجلالين

(4) تفسير الطبري ٢٦ / ١١٨ .

(5) الجلالين

(6) تفسير الطبري ٢٦ / ١١٩ .

(7) الجلالين

(8) انظر مفردات الراغب الأصفهاني " أفك " ١ / ٢٣ .

من صُرف عن الهداية في علم الله تعالى، وإنكم أيها الكافرون المنصرفة قلوبكم عن القرآن الكريم، سوف يزيد الله تعالى تلك القلوب المنصرفة عن الحق انصرافاً عن الهدى وسبل الرّشاد، ويزيدها عمىً إلى عماها.

﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

قُتل : دعاءٌ عليهم. وهو من الله تعالى إيجاد ذلك. وأصل القتل إزالة الروح عن الجسد [١].

الخرّاصون : الكذابون[٢] والخَرْص : الحَزْر والتقدير بالظن. يقال : خرص النّخل والكرم : حَزَر ما عليه من الرُّطب تمراً، ومن العنب زبيباً[٣]، وكلّ قولٍ مقول عن ظنّ وتخمين يقال خَرْص، سواءٌ كان مطابقاً للشيء أو مخالفاً له، من حيث إنّ صاحبه لم يقله عن علم، ولا غلبة ظنّ، ولا سماع، بل اعتمد فيه على الظّنّ والتّخمين، كفعل الخارص في خرصه[٤].

في غمرة ساهون : الغَمْرة مُعظَم الماء الساترة لمقرها، وجُعِلَ مثلاً للجهالة الّتي تغمر صاحبها [٥] أي في غمرة الضلالة وغلبتها عليهم متمادون، وعن الحق الّذي بعث الله به محمّداً ﷺ ساهون قد لهوا عنه[٦] قال ابن عبّاس وغير واحد : في الكفر والشّكّ

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهاني : " قتل " ٢/ ٥٠٨ و ٥٠٩ .

(٢) مفردات الرّاغب الأصفهاني : " خرص " ١/ ١٩٣ .

(٣) انظر – مثلاً – المعجم الوسيط : " خرص " و " حَزَرَ ".

(٤) مفردات الرّاغب الأصفهاني : " خرص " ١/ ١٩٣ .

(٥) مفردات الرّاغب الأصفهاني : " غمر " ٢ / ٤٧٣ .

(٦) تفسير الطبري ٢٦ / ١١٩ .

غافلون لاهون [1] .

أيّان : أيّان الاستفهاميّة معناها أيّ حين. وهو سؤال عن زمان مثل : " متى " قال أبو البقاء : " ايّان" يُسْأل به عن الزّمان المستقبل. ولا يُستَعْمل إلاّ فيما يراد تضخيم أمره وتعظيم شأنه[2] .

يوم الدّين : يوم المجازاة والحساب ويوم يدين الله العباد بأعمالهم[3] .

يوم هم على النّار يفتنون : يعذبون[4] ويُحْرَقون[5] كما يفتن الذهب في النار[6] وأصل الفتن إدخال الذهب النار، لتظهر جودته من رداءته، واستعمل في إدخال الإنسان النار[7].

ذوقوا فتنتكم : ذوقوا عذابكم[8] واحتراقكم وحريقكم[9] .

استحق الخراصون الذين يفترون على الله تعالى الكذب القتل والهلاك. إنهم الذين في غمرة الضلالة سادرون، وفي أعماق السفاهة غارقون، وفي درك الشقاوة منغمسون. إنهم على سبيل الاستهزاء والسخرية يسألون: متى يوم القيامة والحساب والجزاء الذي ننكره ولا نستطيع أن نتصوره. يكون الحساب والجزاء يوم هم على نار جهنم يحرقون، وفي أعماق الجحيم يعذبون. في ذلك اليوم العظيم، والموقف العصيب، يقال لأولئك

---

[1] تفسير ابن كثير ٧ / ٣٩٣ .

[2] معجم النّحو ، عبد الغني الدّقر ٨٠ الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م مؤسسة الرّسالة بيروت.

[3] تفسير الطّبري ٢٦ / ١٢٠ .

[4] تفسير الطّبري ٢٦ / ١٢٠ .

[5] تفسير الطّبري ٢٦ / ١٢٠ .

[6] تفسير الطّبري ٢٦ / ١٢٠ .

[7] مفردات الرّاغب الأصفهاني " فتن " ٢ / ٤٨١ .

[8] تفسير الطّبري ٢٦ / ١٢١ ومفردات الرّاغب الأصفهاني " فتن " ٢ / ٤٨١ .

[9] تفسير الطّبري ٢٦ / ١٢١ .

الذين كانوا يستهزئون في سؤالهم عن يوم القيامة: ذوقوا عذابكم الذي تستحقونه، هذا هو اليوم الذي كنتم تستعجلونه على سبيل الإنكار له، والاستهزاء به.

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾

كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون : قد تكون ما لتأكيد قلة نوم المتقين ليلاً[1]، وهجوعهم. والهجوع : النوم، ويهجعون : ينامون[2] وقد تكون ما مصدريّة، أي حرفاً مصدرياً[3]، والتقدير : كان هجوعهم قليلاً من الليل [4].

وبالأسحار : جمع السَّحر، بفتحتين، آخر الليل قبيل الفجر[5]، واختلاط ظلام آخر الليل بضياء النهار[6] .

إن المتقين يوم القيامة في حدائق ذات بهجة، وعيون ماءٍ يفجرونها حيث شاؤوا تفجيراً. إنهم في الجنة يأخذون ما أعطاهم ربهم عزّ وجل، فضلاً منه ونعمة، من نعيم مقيم، وسرور وغبطةٍ وحبور. إنهم كانوا قبل ذلك في الدنيا قد بلغوا مرتبة الإحسان في كلّ شيء.

---

(١) انظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٢ / ١٣٥ وتفسير الطّبري ٢٦ / ١٢٢ .

(٢) تفسير الطّبري ٢٦ / ١٢٣ .

(٣) انظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٢ / ١٣٥

(٤) تفسير الطّبري ٢٦ / ١٢٣ .

(٥) المعجم الوسيط : " سحر "

(٦) مفردات الرّاغب الأصفهاني : " سحر " ١ / ٢٩٩ .

والإحسان كما عرفه المصطفى ﷺ : أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك[1] كان نوم هؤلاء المتقين بالليل قليلاً، وهجوعهم يسيراً، لأنهم كانوا يقضون الليل في عبادة الله تعالى، وكانت جنوبهم تهجر المضاجع، يدعون ربّهم جلّ وعلا خوفاً من عذابه، وطمعاً في ثوابه. وكانوا بالأسحار يستغفرون الله تعالى، لأنهم في آخر الليل وقبيل الفجر يتهيأون لأداء صلاة الفجر. وبالإضافة إلى إقامة المتقين الصلوات المفروضة والنّوافل ، هم يؤتون الزّكاة المفروضة ويتصدقون. إنّ في أموالهم حقاً معلوماً، ونصيباً معروفاً، للسائل الذي يسأل النّاس، والمحروم الذي ليس له مال لسبب من الأسباب، والذي لا يسأل الناس شيئاً ويحسبه الجاهل بحقيقة حاله غنياً من التعفّف.

إن هؤلاء المتقين نوّر الله تعالى بصائرهم، فهم يرون بنور الله تعالى، ولا يخفى عليهم المحروم.

﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

وفي السماء رزقكم : وفي السماء المطر والثلج اللذان بهما تخرج الأرض رزقكم وقوتكم من الطعام والثمار وغير ذلك[2] .

وما توعدون : من خير أو شر[3] .

---

[1] فتح الباري ١ / ١١٤ حديث رقم ٥٠ وصحيح البخاري ١ / ٢٠ .

[2] تفسير الطّبري ٢٦ / ١٢٦ .

[3] تفسير الطّبري ٢٦ / ١٢٧ .

فوربّ السماء والأرض إنه لحق مثلما أنكم تنطقون : يقسم تعالى بنفسه الكريمة أنّ ما وعدهم به من أمر القيامة والبعث والجزاء كائن لا محالة، وهو حقّ لا مرية فيه، فلا تشكوا فيه كما أنكم لا تشكون في نطقكم حين تنطقون[1].

وفي الأرض آيات بينات، ومعجزات واضحات، للذين بلغوا مرتبة الإيقان ودرجة اليقين، وهو العلم دون الشك[2]، واطمأنوا إلى القدرة المطلقة للذات العلية. وفي أنفسكم هلا أبصرتم ايها الناس وتدبرتم وأدركتم القدرة المطلقة للذات العلية فأفردتموها بالعبادة ؟ وفي السماء رزقكم مكتوب، فمن السماء يترل الماء المبارك الذي يكون بسببه الرزق بفضل الله تعالى، وفي السماء ما يوعد الناس من خير أو شر بإذن الله تعالى.

فورب السماء والأرض الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، إن البعث لحق، فتأكدوا أنكم سوف تبعثون وتحاسبون وتجازون، وثقوا في تحقق كل ذلك مثلما أنكم واثقون الآن أنكم تنطقون، وفي هذه الحياة الأولى أنكم تتكلمون.

---

[1] تفسير ابن كثير ٧ / ٣٩٧ .

[2] تفسير القرطبي ١٥٧ .

(٢)

" ملائكة عذاب قوم لوط عليه السلام تطمئن إبراهيم عليه السلام وتبشره بغلام عليم "

الآيات (٢٤ - ٣٠)

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

ضيف إبراهيم: وهم ملائكة منهم جبريل عليه السلام [1] ويعني بقوله: ﴿ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ أنّ إبراهيم عليه السلام وسارة خدماهم بأنفسهما [2].

سلاما : مفعول مطلق لفعل محذوف[3]

سلام : مبتدأ مرفوع خبره محذوف أي عليكم سلام[4] قوم منكرون: قوم لا نعرفكم. ورفع منكرون بإضمار أنتم[5] .

فراغ إلى أهله : فمال إلى أهله سرّاً[6].

فجاء بعجل سمين : كان عامّة مال نبّي الله إبراهيم عليه السلام . البقر[7] والعجل: ولد البقرة [8]، أي فجاء ضيفه بعجل سمين قد أنضجه شياً[9] وجاء في سورة هود[10] قوله تعالى : ﴿ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ ﴾ .

---

[1] انظر الجلالين

[2] تفسير الطّبري ٢٦ / ١٢٨.

[3] الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٢ / ١٣٨.

[4] الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٢ / ١٣٨

[5] تفسير الطّبري ٢٦ / ١٢٨، وانظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٢ / ١٣٨

[6] الجلالين

[7] تفسير الطّبري ٢٦ / ١٢٨.

[8] مفردات الرّاغب الأصفهاني : " عجل " ٢ / ٤٢٠ .

[9] تفسير الطّبري ٢٦ / ١٢٨.

[10] الآية ٦٩ .

فأوجس منهم خيفة : فأوجس في نفسه إبراهيم من ضيفه خيفة وأضمرها[1] .

وبشروه بغلام عليم : يعني بإسحاق، بمعنى عالم إذا كبر[2] .

هل أتاك يا محمد حديث ضيف إبراهيم عليه السلام المكرمين وهم ملائكة، فيهم جبريل عليه السلام ، وقد قام إبراهيم عليه السلام وزوجه سارة بخدمتهم وإكرامهم . هل أتاك يا محمد حديث ضيف إبراهيم عليه السلام المكرمين، حين دخلوا عليه فقالوا نسلم سلاماً، قال عليكم سلام. أنتم قوم منكرون لا نعرفكم ولم نركم من قبل. فمال عليه السلام إلى أهله سراً فجاء على عَجَلٍ بِعِجْلٍ سمين مشويّ على الحجارة المُحْماه بالنّار . فقربه إليهم قال هلا تفضلتم فأكلتم. فأوجس إبراهيم عليه السلام في نفسه، وأحس خيفة من ضيفه حينما لم تمتد أيديهم إلى الطعام، ولم يكن يعلم أنّهم ملائكة. إنّ عدم مدّ يد الضيف إلى الطعام دليل على أنه عدوّ. ولقد بادر الملائكة الكرام إلى الطلب من إبراهيم عليه السلام عدم الخوف منهم، بل إنهم بشروه بغلام عليم إذا كبر، وهو إسحاق عليه السلام .

﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ﴾

في صرة : في صرخة عظيمة ورنّة[3] وصيحة[4] .

فصكت وجهها : فلطمت وجهها[5] .

---

(1) تفسير الطّبري ٢٦ / ١٢٨.

(2) تفسير الطّبري ٢٦ / ١٢٨.

(3) تفسير ابن كثير ٧ / ٣٩٨

(4) تفسير الطّبري ٢٦ / ١٢٩.

(5) تفسير الطّبري ٢٦ / ١٢٩.

وقالت عجوز عقيم : وقالت : أتلد عجوز عقيم لا تلد[1] .

وقيل عجوز خبر لمبتدأ محذوف تقديره أنا[2] .

فأقبلت امرأته سارة في صرخة عظيمة وصيحة مدوية، فلطمت وجهها، لأنها لم تكن تتوقع مثل هذا النبأ، وقالت في تعجب: أنا عجوز عقيم لا ألد منذ أن بلغت مبلغ النساء فكيف ألد الآن وقد بلغت من الكبر عتيّا! قال الملائكة الكرام : هكذا قال ربك أن تلدي ولداً ذكراً في هذه السن المتأخرة من زوجك الشيخ الكبير إبراهيم عليه السلام. إن الله تعالى هو الحكيم في تدبيره وفي كل شيء ، العليم الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله ربّ العالمين .

---

[1] تفسير الطّبري ٢٦ / ١٢٩.

[2] الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٢ / ١٤٠ .

فهرست الموضوعات

الموضوع	رقم الآيات	رقم الصفحة
المقدمة		٥
أولاً : سورة الأحقاف		٧
بين يدي التفسير		١٣
التفسير		٢٥
١- الله تعالى هو الذي أنزل القرآن الكريم، وخلق السّماوات والأرض وما بينهما، فأفردوه بالعبادة، وصدّقوا رسوله العظيم، واستمسكوا بهدي قرآنه الكريم، تدخلوا جنّات النّعيم.	١-١٤	٢٧
٢- الجنّة ثواب المؤمنين بالبعث البارّين والديهم، والنّار عقاب الكافرين بالبعث العاقّين والديهم	١٥-٢٠	٣٩
٣- على كفّار مكّة الاعتبار بإهلاك الله تعالى عاداً الأشدّ منهم قوّة، وبإهلاك ما حولهم من القرى	٢١-٢٨	٤٧
٤- نفرٌ من الجنّ يستمعون القرآن الكريم ويسلمون ويدعون قومهم إلى دين الإسلام، فعلى كفّار الإنس الاعتبار، وعلى محمدٍ صلّى الله عليه و سلّم الاصطبار	٢٩-٣٥	٥٥
تعقيب		٦٣
ثانياً :سورة محمدٍ ﷺ .		٧١
بين يدي التفسير		٧٧
التفسير		٩٥
١- الّذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله تعالى أضلّ أعمالهم والّذين آمنوا وعملوا الصّالحات أصلح بالهم	١-٣	٩٧

الموضوع	رقم الآيات	رقم الصفحة
٢- معاملة الأسرى في الإسلام	٤-٦	١٠١
٣- الله تعالى مولى الّذين آمنوا وثوابهم الجنة، والّذين كفروا لا مولى لهم وعقابهم النّار	٧-١٥	١١١
٤- طبع الله تعالى على قلوب المنافقين، وزاد الّذين اهتدوا هدى	١٦-١٩	١٢١
٥- المؤمنون شجعان، والمنافقون جبناء، وحثٌ على تدبّر القرآن	٢٠-٢٤	١٢٧
٦- المنافقون يطيعون الكفّار ويعرفون بلحن القول	٢٥-٣٠	١٣٥
٧- ثواب المؤمنين الطّائعين، وعقاب الكافرين العاصين	٣١-٣٤	١٤٧
٨- حث المؤمنين على الجهاد في سبيل الله تعالى بالنّفس والنّفيس وإنذار المتثاقلين بالاستبدال بهم غيرهم	٣٥-٣٨	١٥١
تعقيب		١٥٧
ثالثاً : سورة الفتح		١٧٩
بين يدي التفسير		١٨٥
التفسير		١٩٧
١- إنا فتحنا لك يا محمد فتحاً مبيناً لتقوم بما يجب عليك من شكر الله تعالى، وليقوم المؤمنون بما يجب عليهم من شكرٍ لله تعالى فيثيبهم، وليعذّب المنافقين والمشركين	١-٧	١٩٩
٢- أرسل الله تعالى محمّداً ﷺ ليؤمن النّاس،وثواب الموفين بالعهد،وعذاب الناكثين له كالمخلّفين من الأعراب الحريصين على المغانم فعليهم تلبية نداء الجهاد	٨-١٧	٢١٥
٣- لقد رضي الله تعالى عن أصحاب بيعة الرّضوان فأنزل الطّمأنينة عليهم، ووعدهم مغانم كثيرة، وعجل لهم فتح خيبر وهيا لهم فتح مكّة، ووعدهم بالنصر على الكافرين أصحاب الحميّة الجاهلية.	١٨-٢٦	٢٢٧

الموضوع	رقم الآيات	رقم الصفحة
٤- لقد صدق الله تعالى رسولة محمداً ﷺ الرّؤيا بدخول المسجد الحرام، وصدق الله تعالى بإظهار دين الإسلام على الدين كله، وصفة الصحابة رضوان الله عليهم في التوراة والإنجيل	٢٧-٢٩	٢٣٧
تعقيب		٢٤٥
رابعاً : سورة الحجرات		٢٥٩
بين يدي التفسير		٢٦٣
التفسير		٢٧١
١- على المؤمنين أن يكون هواهم تبعاً لما جاء به محمدُ ﷺ ، وبعض الآداب في قول المؤمنين له ﷺ وفعلهم	١-٥	٢٧٣
٢- آداب قرآنيّةٌ لتعميق الأخوّة الإيمانيّة	٦-١٣	٢٨٣
٣- المؤمنون صادقو الإيمان هم الّذين آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم	١٤-١٨	٢٩٧
تعقيب		٣٠٤
خامساً : سورة ق		٣٠٩
بين يدي التفسير		٣١٣
التفسير		٣٢٣
١- كفّار مكّة المنكرون للبعث في حال مضطراب بشأن القرآن الكريم والرّسول العظيم ﷺ	١-٥	٣٢٥
٢- هلاّ استدلّ كفّار مكّة على البعث بخلق الله تعالى السّماوات والأرض الأكبر من خلق النّاس ، وهلاّ اتّعظوا بإهلاك الله تعالى المكذّبين السابقين	٦-١٥	٣٣١
٣- للكافرين عذابٌ شديدٌ في نار جهنّم الّتي تطلب المزيد، وللمتّقين ما يشاؤون من نعيمٍ في الجنّة الّتي لهم فيها مزيد	١٦-٣٥	٣٣٩

الموضوع	رقم الآيات	رقم الصفحة
٤- على الكافرين الاتّعاظ بهلاك الكافرين السّابقين، والاستدلال بخلق السّماوات و الأرض على البعث، وعلى المؤمنين الاستعداد ليوم القيامة، والاتّعاظ بالقرآن الكريم	٣٦-٤٥	٣٥١
تعقيب		٣٥٩
سادساً : سورة الذّاريات حتى نهاية الجزء السادس والعشرين		٣٦٥
بين يدي التفسير		٣٦٩
التفسير		
١- الوعد بالبعث والجزاء صادق، وعذاب المكذبين، وثواب المحسنين الّذين يستدلون بآيات الله تعالى على وحدانيته	١-٢٣	٣٧٧
٢- ملائكة عذاب قوم لوط عليه السلام تُطمْئن إبراهيم عليه السلام وتبشّره بغلام عليم.	٢٤-٣٠	٣٨٧
فهرست الموضوعات		٣٩٢